

سلسلة توجيهات منجية

(٢)



علماء الإسلام
بين
أهل السنة وجماعات التكفير

إعداد

د. سعد الدين بن محمد البتي

مَجْمُوعَةُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م



معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية
مركز الإمام البخاري للبحث العلمي والدراسات الإسلامية
لبنان - عكار -

albahs_alalmi@hotmail.com

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد،

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابنا: (علماء الإسلام بين أهل السنة وجماعات التكفير) نقدمها للقراء الكرام، تجلية للصورة،

وتوضيحاً للحقيقة، حتى لا يبقى الغبش والتشويش مخيماً على الصورة، فإن الآثار والعلامات تدلّ على مسيرة أصحابها، فلاهل السنة والجماعة علامات يعرفون بها، ولجماعات التكفير علامات يعرفون بها.

فمن علامات جماعات التكفير:

١ - الطعن بالعلماء: ووصفهم بأنهم علماء حيض ونفاس، وأنهم لا يفهمون الواقع، وبعضهم يكفر العالم إذا تولى منصباً دينياً، كالإفتاء، ووزارة الأوقاف، بل ربّما يكفر الإمام والخطيب إذا كان يتقاضى راتباً من الحكومة.

٢ - اتباع المتشابه من النصوص: قال الآجري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الشريعة: (ومما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه، فقد أشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية).

ولذلك قال الآجري رَحِمَهُ اللهُ: (فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أم جائراً، فخرج وجمع جماعة وسلّ سيفه، واستحلّ قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يغتتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه، ولا

بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج^(١).

٣ - الغلو والتنطع: وقد ذمَّ الله ﷻ الغلو والتنطع في كتابه، فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وفي الحديث، قال النبي ﷺ: «إياكم والغلو، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(٢).

٤ - التكفير والتكفير المتسلسل، وإعمال قاعدة: (من لم يكفر الكافر فهو كافر) على المسلمين الذين كفروهم.

٥ - الإفساد في الأرض، والإضرار بالمسلمين، وتعطيل الدعوة الإسلامية والتضييق عليها، والتسبب بانتهاك حرمة المسلمين تحت شعار الجهاد والدفاع عن الحرمات، فهم يرون الجهاد وإنكار المنكرات باليد في جميع الحالات والظروف والأزمات والأمكنة، دون النظر إلى المصالح والمفاسد، وهذا أصل من أصول الخوارج أنهم يرون إنكار المنكر بالسيف دون النظر إلى النتائج وما يترتب على هذا الإنكار من مصالح أو

(١) انظر الشريعة للأجري (٢٧ ٢٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩) في كتاب المناسك، (باب قدر حصي الرمي). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٣).

مفاسد. وقد وصفهم الأجرى في كتاب الشريعة حيث قال: (قيل للحسن: يا أبا سعيد، خرج خارجي بالخريبة محلة عند البصرة فقال: المسكين رأى منكراً فأنكره فوقع فيما هو أنكر منه)^(١).

أما أهل السنة والجماعة فمن علاماتهم:

١ - يحبون العلماء ويحترمونهم ويقلون زلاتهم، ولا يصدرون في القضايا النوازل إلا عن رأيهم، تحقيقاً لقول الله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

٢ - يردون المتشابه إلى المحكم من النصوص، ويفسرون القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، ولا يميلون إلى الهوى، أو يعملون بنص دون آخر وهم يجدون سبيلاً إلى الجمع بين النصوص.

٣ - أنهم وسط في جميع أبواب الدين والعلم، بعيدون عن الغلو والتنطع، بين إفراط الخوارج وتفريط المرجئة.

٤ - يعرفون الحق ويرحمون الخلق، ويعتقدون أن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين. ولا يكفرون إلا من

(١) الشريعة للأجرى (٢٧).

كفره الله ورسوله ﷺ، ويعذرون بالجهل والشبهة والتأويل.

٥ - يرون أن الجهاد في الإسلام هو المنظومة العسكرية للدولة الإسلامية، ولا يجوز أن يتخذ وسيلة للإفساد في الأرض تحت شعارات عاطفية. ولا يستغلون الأحداث القائمة في العالم الإسلامي ذريعة للتحريض على الحاكم والخروج عليه وقتاله، ويتحلون بالصبر على جور الأئمة، ويبدلون لهم النصيح ما أمكنهم ذلك، ولا يرون إنكار المنكرات التي تؤدي إلى ما هو أكبر منها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فليس كل ما جاز فيه القتل، جاز أن يقاتل الأئمة لفعالهم إياه، إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر)^(١).

وقال: (ولم يُنه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذٍ من باب الصّدّ عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات)^(٢).

وقال: (فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن ممّا أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله وليس عليه هداهم)^(٣).

(١) الفتاوى (٢٢ / ٦١).

(٢) نفس المصدر (٢٨ / ١٣٠).

(٣) الفتاوى العراقية (٢٥٧). وانظر أيضاً: الفتاوى (٢٨ / ١٢٩) وإعلام الموقعين لابن القيم (٣ / ٤).

هذه بعض العلامات التي تميّز جماعات التكفير عن أهل السنة والجماعة، نبينها ونؤكد على ضرورة فهمها واعتبارها لئلا يختلط الصالح بالطالح، والنافع بالمفسد الضار.

ولأن الدعوة الإسلامية المباركة تحتاج أن تستمر في مسيرتها بعيداً عن التشويش والتشويه، لتحقيق أهدافها وتصل إلى مرادها، بالدعوة إلى الأمن والإيمان والسلامة والإسلام، مراعاةً للواقع، ورحمةً بالخلق، وتبياناً لما في الإسلام من أحكام لقبول المخالف ودعوته بالحكمة والحوار ونحن نجد إلى ذلك سبيلاً.

فأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة أهل السنة بالدرجة الأولى، وأن يهدي بها المخالفين لهم فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وليس ذلك على الله بعزيز.

وكتبه

ويعزّالدين بن محمد البتي

المدير العام لمعهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية

عكار لبنان ١٤٣١هـ

الموافق ٢٠١٠

مدخل إلى البحث

* المقدمة

* عتاب مردود

* التعريف بجماعات التكفير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام
المتقين وخليل رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن السير على طريق النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى،
وصية الله ﷻ، ووصية رسوله ﷺ، فقد خط رسول الله ﷺ
خطاً بيده فقال: «هذا صراط الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن
يمينه وخطوطاً عن شماله، ثم قال: هذه السبل، على كل سبيل
منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(١).

وقد أمرنا الله ﷻ، باتباع سبيل نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ٢١] وأعلم الناس بسبيل الرسول ﷺ،

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٥ / ١) وهو صحيح.

العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ورأس الطائفة المنصورة الثابتة على الحق، التي قال في تفسيرها الإمام البخاري: هم أهل العلم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلست أدري من هم.

وإنَّ من الواجب على أهل العلم وطلاب العلم أن يبيّنوا للناس طريق الدعوة إلى الله، ويحدّثوا من اتباع غير سبيل المؤمنين الذي توعدّ الله ﷻ عليه بصلي جهنّم، حيث قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

إنه من واجب النصيحة التي بايع عليها النبي ﷺ أصحابه، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»^(١).

كما أنه حماية للشباب المسلم من الشبهات المخلوطة بالجهل والهوى، ومن المقدمات الباطلة الموصلة إلى النتائج الفاسدة.

إن السكوت عن بيان منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله،

(١) أخرجه البخاري (٥٧) في كتاب الإيمان، (باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة، لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم). ومسلم (٥٦) في كتاب الإيمان، (باب بيان أن الدين النصيحة).

أدى إلى خطأ عدد كبير من الشباب، لا سيّما وأن جماعات يصرّح عليها بأنها جماعات تكفيرية استغلّت عاطفة الشباب المسلم، وأوقعتهم في القتل والأسر والإهانة بلا أدنى مصلحة، بل زادت من ضعف المسلمين السنّة وجعلتهم عُرضةً لخصومهم، وظهراً مكشوفاً لكل طاعن.

ذلك أن هذه الجماعات تدعو إلى التزبذ قبل التحصرم، وإلى القفز الذي يكسّر الأرجل، ضارّين عُرض الحائط بالسيرة النبوية، والسنن الكونية للنصر والتمكين، فكان من الواجب بيان الخطأ الذي تدندن به، وتدور حوله، وتلملم جموعها على أساسه، نصحاً للشباب المسلم، وحفظاً للدعوة الإسلامية المباركة أن يعتلي جوادها المتنطعون المغالون في مسائل التكفير والجهاد والنهي عن المنكر، أو أن يتستروا بها، بالتحلي بثوبها، وبالتالي تلصق التهم بها، ويتمكن خصومها من الكيد بشبابها، وتشويه سمعتها وسمعة رجالاتها.

إن هذا البحث بمثابة الكشف عن الوجه الحقيقي لجماعات التكفير، والنزع لثوبها المزوّر الذي لبسته وانتسبت به إلى السنّة، كما لبسته جماعة التكفير الأولى الخوارج وأرادت أن تنتسب به إلى السنة، فكشف ثوبها أصحاب النبي ﷺ، رغم ما كانت تنادي به من شعارات برّاقة: «إن الحكم إلا لله» الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما كان من سيدنا علي رضي الله عنه إلا

أن قال: (كلمة حقٍ أريد بها باطل).

إننا إذ تناول تلك الجماعات التي تسببت ولا تزال بضرب الدعوة، ووأدها في مهدها، نوّكد أن (العاطفة لا تقوّم عوجاً، ولا تكشف غمّة، وأنّ الاعتذار للبدعة ليس إلّا دفعاً للسنة في صدرها، وصدأً عن سبيلها، وتقطيعاً لوشائجها، وتفريقاً للأمة أي تفريق)^(١).

كما نوّكد أن الشدة تنفع في مواطن كثيرة فتأتي بالفرج، وأن الطريق قد لا يتضح لكثير من أصحاب القلوب الضعيفة إلا بذلك، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النعومة والنظافة ما نحمد معه عاقبة التخشين)^(٢).



(١) ما أنا عليه وأصحابي، أحمد سلام (٦١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٥٣ - ٥٤).

عتاب مردود

لقد طرق سمعي أثناء كتابة هذا البحث، صدى صوت من يقول: هؤلاء إخواننا، ويجب علينا أن ننصحهم بالأسلوب اللين، لا أن نشدد عليهم، وربما يبدأون بكييل التهم الباطلة لكاتب هذه السطور.

فأقول:

إن حبكم للشباب المسلم لا يزيد أبداً عن حبنا لهم، وإن من منطلق حبنا وحرصنا على الشباب المسلم، نبين لهم معالم الخطأ والضلال، محاولين قمع الشبهات قبل وصولها وتسربها إلى آذان الشباب المسلم البريء الذي لا يزال عرضة للغزو، ومحط أنظار تلك القيادات الجاهلة بالقواعد الشرعية ومقاصد التشريع، وبالواقع الحقيقي الذي تنزل عليه النصوص والأدلة، واسمحوا لي أن أسأل بعض الأسئلة:

١ - لمصلحة من، أنه كلما بلغ عدد الشباب الملتزم في دولة ما، أربعين أو خمسين شاباً، جمعتهم جماعة تكفيرية كما تجمع الحطب في حزمة واحدة وقدّمتهم على مدافئ أعداء الإسلام؟

٢ - ولمصلحة من، محاولة توريث الساحة الإسلامية السنّية، رغم ضعف الصحوة وهشاشتها؟

٣ - ولمصلحة من، محاولة إنهاء أعمال الدعوة والتعليم والتربية الإسلامية في بلاد المسلمين، والهروب من الواقع؟

آن لنا يا معشر الشباب المسلم أن نعمل بعلم وعقل لا بجهل وحماس وهوى.

آن لنا أن نترك العاطفة عند التعامل مع الحدث، وننقد ذاتنا لنعرف موضع الخلل والخطأ، آن لنا أن نعرف أن طريق العزة لا يكون بتهييج الشباب والحماس الأهوج، الذي لم يجرّ على الأمة منذ مقتل عثمان رضي الله عنه وإلى عصرنا إلا الانقسام والانهزام.

آن لنا أن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة، لتتصور ذاتنا أولاً، ونقف على حقيقة الضعف الذي حلّ بأمّتنا ثانياً، مع تصور الباطل وضحامته وجاهزيته، لا ليصيبنا الإحباط، وإنما لمعرفة الذات، وعدم الاستهانة بالباطل، ولننتقل بعد ذلك مع تصور الواقع الحقيقي نحو ما نصبو إليه، بخطوات مناسبة للحال محققة للمآل بلا غرور ولا خداع.

آن لنا أن نفهم أن الجري على السنن الكونية، لا يكون بمخالفة السنن الكونية، وإنما يكون بالصبر مع بذل الجهد في تربية الأجيال على الكتاب والسنة وفهم السلف، وأن ما هدمه

أعداء الإسلام في عشرات السنين لا يُبنى دفعةً واحدةً دون تعبٍ وبذل جهدٍ واستغراق وقتٍ، إلا أن تكون لجماعات التكفير سنن كونية غير سنن الله الكونية.

آن لنا أن نترك التنظير من فوق السطوح، ونتكلم بواقعيةٍ وحكمةٍ.

آن لنا أن نعرف أنّ كلّ ما حلَّ بالأمة الإسلامية ونحن منذ أكثر من عشرين عاماً نعيش نفس التجربة البائسة بسبب تنكب طريق العلماء الذين تربّوا على كتب ومصادر أهل السنة الأمّات فبلغوا درجة النظر والاجتهاد، واتبعنا طريق من تربّى على كرايس التنظيم، ونظريات الأحزاب.

آن لنا أن نخرج من كل هذا الضياع والانقسام والتشتت، ونقوم في جوف الليل، أو في الثلث الأخير، ونقول: (اللهم أرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه) ونقول أيضاً: (اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم).



التعريف بجماعات التكفير

من هم جماعات التكفير:

جماعات التكفير أحزاب وتنظيمات متعددة، متفاوتة في الغلو والتطرف على النحو التالي:

- ١ - منهم من يكفر جميع المسلمين الذين لا يلتحقون بتنظيمهم وجماعاتهم، وهذه أخطر فرق هذه الجماعات، إذ قد يصل بهم الأمر إلى قتل غيرهم من المسلمين.
- ٢ - ومنهم من لا يكفر جميع المسلمين خارج الجماعة والتنظيم، وإنما يتوقف فيهم، فلا ينسبهم لا إلى إسلام ولا كفر حتى يتبين.
- ٣ - ومنهم من يكفر المداوم على الكبيرة باللوازم، حيث يلزم الناس بلوازم ليس من الضروري أن يلتزموها.
- ٤ - وكثير منهم يكفر العالم الذي يتولى منصباً دينياً، بغض النظر عن قصده، كما صرح بعضهم في شريط له فقال:

(إذا كان العالم جزءاً من السلطة فحكمه حكم السلطة، فإذا كفرت السلطة كفر العالم).

فيلزم من كلامه تكفير جميع المفتين، ووزراء الأوقاف، والقضاة الشرعيين، ومن اتصل بالمحاكم الشرعية والأوقاف من خطباء وأئمة رسميين، لأنه يكفر جميع حكام الدول العربية والإسلامية دون استثناء.

٥ - إن كل جماعات التكفير تشترك في المحاور الثلاثة التالية:

- أ - الطعن بالعلماء، والتهوين من شأنهم، وإسقاطهم.
- ب - التكفير، والمراد بالتكفير: أنهم يجعلون التكفير قضية أساسيةً يشتغل بها جميع أفراد الجماعة بشبهاتٍ مخلوطةٍ بجهلٍ وهوى.
- ج - الجهاد، كقضية أساسيةٍ عندهم للاجتماع والعمل بلا قيد ولا شرط، مهما كانت الظروف والمرحلة.

٦ - إن كل جماعات التكفير ينشؤون أحزاباً وجماعاتٍ بإمارةٍ سريةٍ، والسبب الأعظم في ذلك: أنهم لا يُعرفون بعلم شرعيٍّ حتى يجتمع عليهم الشباب وتجتمع عليهم الأمة، فإن من شروط الطائفة المنصورة الثابتة على الحق، أن تكون ظاهرةً، وظهورها يكون بظهور علمائها، لأن الظهور في هذا

العصر ظهور منهجي، فلما كان هؤلاء غير ظاهرين بالعلم استسروا بإمارتهم لئلا يُفتضح أمرهم.

وإذا كانت هذه المحاور هي التي تجمع جماعات التكفير،
وجب أن يصار إلى تحقيق البحث فيها، وذلك لأسباب:

١ - تحصيلنا للإسلامية لئلا يدخل فيها أمثال هؤلاء، فيتأثر بهم الشباب المسلم، لا سيما وأنهم يطرحون شبهاتٍ إذا وردت على غير الراسخ في العلم أزالته يقينه.

٢ - لأننا أصحاب دعوةٍ إسلاميةٍ، سلفية العقيدة والمنهج، واضحة التصور والأهداف والمراحل والوسائل، نعرف من نحن، وماذا نريد، وكيف نريد، وبالتالي، يجب أن يكون ذلك واضحاً لكل ذي عقيدةٍ سلفيةٍ، ومنهجٍ سنيٍّ نبويٍّ.

لقد اجتمع السلفيون على العقيدة السلفية، إلا أنه تركز جانب البحث فيها حول الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الاتباع في العبادة، ولذلك تركزت المحاجة مع المؤولين والمعطلين لأسماء الله وصفاته، ومع الذين اتخذوا وسائط يتقربون بها إلى الله، ومن يتقربون إلى الله بأنواع من القربات المبنية على الأقيسة الباطلة والآراء، وعمومات النصوص.

وأما بيان طريق الدعوة إلى الله، والجواب عن الأسئلة

الثلاثة:

من نحن، وماذا نريد، وكيف نريد، بمعنى:

تصور الذات، ومعرفة المراحل والوسائل والأهداف، قلّ
من تكلم فيها من الدعوة، الأمر الذي جعل التكفيريين يجدون
آذاناً صاغية، وأوعية فارغةً من التأصيل المنهجي الدعوي.

ولما كان الطعن بالعلماء وإسقاطهم هو المحور الأول
الذي تقدمه هذه الجماعة، وجب أن نبدأ ببيانه.



علماء الإسلام بين أهل السنة وجماعات التكفير

الفصل الأول: الموقف من العلماء بين أهل السنة
وجماعات التكفير.

الفصل الثاني: كيف يعرف العالم بين أهل السنة
وجماعات التكفير.

الفصل الثالث: منهج أهل السنة في النوازل.

تمهيد

إن الطعن في علماء السنة من أخطر علامات جماعات التكفير، بل قال بعضهم: (الشيخ الفلاني كافر، والآخر خبيث، و... و...) وبعضهم جرى على قاعدة: (من لم يكفر الكافر فهو كافر) فجعلها قاعدةً عامةً مطّردة، أوصلتهم إلى تكفير طوائف كثيرة من المسلمين، وعددٍ كبير من العلماء، الأمر الذي أدّى إلى فقد الثقة بعلماء الأمة وكبار الدعاة فيها، فلم يقبلوا لهم قولاً، ولم يسمعوا لهم فتوى، ولا أخذوا بنصيحة، فوقعوا في حبال الشيطان الذي أفقدهم الثقة بعلمائهم، فمنهم من ضرب بالدين عُرض الحائط، وخلع ثوب الالتزام قائلاً:

إذا كان علماءنا على هذه الحال، فعلى الالتزام السلام.

ومنهم من نصّب نفسه بديلاً عن العلماء، فهو يفتي ويحاكم على قلة ما عنده من علم فقولُه الحق، وفتواه الصواب، الكلّ عنده مخطئون مقصرون متخاذلون، فالكافر من كفره، والفاسق من فسقه، فالتألي على الله منهجهم، والغلو في المدح والذم طريقتهم، وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام في حال هؤلاء:

(بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم وإن كان جاهلاً سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمداوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله ﷺ) (١).

إن هؤلاء طعنوا في العلماء، وأسقطوهم، وحكموا عليهم بالتخاذل، وقالوا عنهم: علماء حيض ونفاس، فهم يرجعون إلى العلماء للسؤال عن الحيض والنفاس، لكنهم لا يرجعون إليهم في المسائل النوازل.

إن الذي لا يقدر أن يتوصل إلى معرفة حكم الحيض والنفاس بنفسه، كيف يتوصل إلى أحكام النوازل بنفسه؟ والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

إنهم أسقطوا العلماء لأنهم لم يوافقوهم على أفكارهم وقراراتهم، فطعنوا فيهم، وأبعدوهم عن نفوس الأمة، فزعزعوا ثقة الشباب بهؤلاء العلماء الذين لا يتكلمون إلا بعلم، فانفردوا بالأمر فهم العلماء، وهم أهل الحل والعقد في الأمة.

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٥).

الفصل الأول الموقف من العلماء بين أهل السنة وجماعات التكفير

المبحث الأول:

الطعن بالعلماء من علامات أهل البدع

المبحث الثاني:

عدم التماس العذر لأهل العلم منهج خارجي

المبحث الثالث:

حب أهل العلم والدفاع عنهم منهج أهل السنة

المبحث الأول الطعن بالعلماء من علامات أهل البدع

إن القدح في العلماء، والطعن فيهم، سبيل من سبل أهل الزيغ والضلال، ذلك أن الطعن في العلماء ليس طعنًا في ذواتهم، وإنما هو طعن في الدين والدعوة التي يحملونها، ولذلك فقد فقه السلف هذا الأمر، فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (إذا رأيت الرجل يتكلم في حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة)^(١) وقال أبو حاتم الرازي: (علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر)^(٢).

وقال أحمد بن سنان القطان: (ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث)^(٣).

وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي: (اعلم يا أخي

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٤٥٠).

(٢) اعتقاد أصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني (١١٨).

(٣) المصدر السابق (١١٦).

وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممّن يخشاه ويتقيه حقّ تقاته،
أنّ لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم
معلومة^(١).

إن جماعات التكفير جعلوا من أولى مهماتهم الطعن
بالعلماء لينفردوا بالأمر، وليجدوا آذاناً صاغية لشبهاتهم، الأمر
الذي يجعل سمومهم تجري في عرق الأمة النابض (الشباب)
ليحققوا مآربهم بلا علم ولا تعقل.

ولنعلم جميعاً أن العلماء هم صمّام الأمان لهذه الأمة،
وبخاصة الدعوة والدعاة، فينبغي أن نعلم جميعاً أن الطعن
بالعلماء علامة من علامات جماعات التكفير.



(١) تبين كذب المفتري (٢٨).

المبحث الثاني عدم التماس العذر لأهل العلم منهج خارجي

إن الخوارج هم الذين لا يعذرون بالاجتهاد، وهم الذين قالوا عن علماء الصحابة رضي الله عنهم مرجئة، لأنهم متشبعون بالأصول والمفاهيم المنحرفة التي جعلتهم يخرجون على كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

فلا نعجب إذا سمعنا في هذا الزمان أفرأخاً يقولون عن محدثي العصر وعلماء السنة بأنهم متخاذلون، أو علماء حيض ونفاس، قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمته الله، في اعتقاد السلف أصحاب الحديث^(١): (وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتها وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم، وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة).

وقال: (وعلامات القَدَرِيَّة تسميتهم أهل السنة مجبَّرة،

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبّهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابذة وناصبة^(١).

قال الإمام الذهبي رحمته الله: (قال الإمام أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكا لم يأخذ بحديث: «البيعان بالخيار» فقال: يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم قال أحمد: هو أروع وأقول بالحق من مالك. قال الذهبي: لو كان ورعاً كما ينبغي لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم، فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث لأنه رآه منسوخاً، وقيل: عمل به، وحمل قوله: «حتى يتفرقا» على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث، وفي كل حديث له أجر ولا بدّ، فإن أصاب ازداد أجراً آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في اجتهاده الحروية^(٢).



(١) نفس المصدر (١١٨ - ١١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٧/١٤٣).

المبحث الثالث حب أهل العلم والدفاع عنهم من منهج أهل السنة

قال أحمد بن الحسن لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفض ثوبه ويقول: زنديق، زنديق، زنديق، حتى دخل البيت^(١).

قال أبو عثمان الصابوني: (إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، وقال: وقد زين الله قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جَلَّ جَلَالُهُ)^(٢).



(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني (١١٧).

(٢) المصدر السابق (١٢١).

الفصل الثاني كيف يعرف العالم بين أهل السنة وجماعات التكفير

المبحث الأول:

من هم العلماء عند أهل السنة

المبحث الثاني:

العالم عند جماعات التكفير

المبحث الثالث:

الخطأ في الحكم الشرعي بين أهل السنة وجماعات
التكفير

المبحث الأول من هم العلماء عند أهل السنة

العلماء هم فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم، واختصوا باستنباط الأحكام. هم الذين بلغوا مرتبة الإمامة في الدين، وذلك بالاقتداء بالأئمة قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: أي اجعلنا مؤتمين بالمتقين، مقتدين بهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وأشكل هذا التفسير على من لم يعرف قدر فهم السلف، وظن أنه من باب المقلوب، قال: ومعاذ الله أن يكون شيء مقلوباً على وجهه. وهذا من تمام فهم مجاهد رَحِمَهُ اللهُ، فإنه لا يكون الرجل إماماً للمتقين حتى يأتهم بالمتقين). ثم قال: (فمن اتهم بأهل السنة قبله، اتهم به من بعده ومن معه)^(١).

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٢ - ١٣).

ونستفيد من كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، أنَّ من لم يَأْتَمَّ بالمتقين، لا سيَّما الذين جَدَّدوا الدين وأحيوا السنن، فلن يجتمع عليهم المتقون في عصرهم، فضلاً عمَّن بعدهم، وأنَّ من نَفَّرَ عن العلماء، سينفر عنه الناس، لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

كيف تنال الإمامة في الدين عند أهل السنة

ويجب أن نعلم أنَّ الإمامة في الدين لا تُنال إلا بالصبر واليقين، كما ذكر ابن القيم عن شيخه قال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقول: (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين)^(١).

بالصبر عن الدنيا، وبالصبر على البلاء، وبالصبر عن الملاهي.

فبالصبر يدفع الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات. فالعلماء هم أهل اليقين الراسخ الذي لا تؤثر فيه الشبهات كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (إنَّ الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشُّبُه بعدد أمواج البحر ما أزال يقينه، ولا قدحت فيه شكاً، لأنَّه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردَّها حرسُ العلم وجيشُه مغلولَةٌ مغلوبة)^(٢).

(١) المصدر السابق (١٦).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

الإجازة الشرعية والدرجة العلمية لا تجعل الإنسان عالماً

وليس كل من حصل على شهادة، أو إجازة شرعية، أو درجة علمية يصير عالماً، أو إماماً يُتَّبَع على أقواله؟ بل ولا من كتب بحثاً أو مقالاً.

إنَّ العالم من شهد له أهل العلم الموثوقون، بالعلم، وشهدت له آثاره وفتاواه، وكان عاملاً بعلمه، بحيث يكون سلوكه مطابقاً للعلم الذي يحمله، ثم بعد ذلك يوضع له القبول في الأرض فيصير ظاهراً، عالماً ومنازلاً من منارات الدين، يُهتدى به في ظلمات الجهل والفتن، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، في وصف العالم وتحديده: (من له في الأمة لسان صدقٍ عام، بحيث يُثنى عليه ويُحمد في جماهير أجناس الأمة، فهو لاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى)^(١).

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرُّوا بجنازةٍ فأثنوا عليها خيراً فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» ثم مرُّوا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: «وجبت» فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»^(٢).

(١) الفتاوى (١١ / ٤٣).

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧) في كتاب الجنائز، (باب ثناء الناس على الميت). ومسلم (٩٤٩) في كتاب الجنائز، (باب فيمن يثنى عليه خيرٌ أو شرٌّ من الموتى).

الخلاصة في العلامات التي يعرف بها العالم:

ونستطيع من خلال ما سبق، أن نخلص بعلامات واضحة للعالم الذي يُهتدى به، ويجب الاستمسك بغرزه، لا سيما في النوازل والفتن، وهي:

- (١) من دارت الفتيا على أقواله.
- (٢) من خُصَّ باستنباط الأحكام.
- (٣) من بلغ درجة العلم الراسخ اليقين في العلم.
- (٤) من شهد له أهل العلم الموثوقون.
- (٥) من شهدت له آثاره وفتاواه.
- (٦) أن يكون عاملاً بعلمه.
- (٧) أن يوضع له القبول في الأرض.
- (٨) أن يكون ظاهراً، علماً ومنازلاً.

فائدة:

والعبرة في ذلك للغالب الشائع، لا القليل النادر، كما أن العبرة في القبول بأهل الشأن أهل العلم، لا أهل الهوى والجهل.

زعمُ فاسدٌ وردُّه:

وقد زعم بعضهم أن العالم هو الذي تحدّدُ الصحوة

ويختاره شبابها، وهذا الزعم يدل على جهل قائله، لأن شباب الصحوة^(١) من جملة العوام الذين لا عبرة بوفاقهم ولا خلافهم في الأحكام الشرعية، وإنما العبرة بكلام أهل العلم، وقد ردّ عليهم الطوفي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح مختصر الروضة فقال: (إذا كان لك أهلية تعلم بها إصابة من تقلّده من خطئه، فاجتهد أنت فيما قلّدت فيه، وألغِ واسطة التقليد)^(٢).

التمييز بين العالم والمثقف:

لا بدّ من التمييز بين العالم وغيره من المثقفين والمفكرين والوعّاظ والخطباء، فإنّ المثقف ولو علم شيئاً من الثقافة الإسلامية، إلا أنه يُعدُّ من عوام المسلمين الذين يجب أن يكونوا خلف أهل العلم لا أن يتقدموا عليهم.

وإنّ المفكر وإن كان يملك قدرةً على طرح فكرةٍ معينة، وتقرير أمر ما، إلا أنه لا يجوز أن يُعدَّ من العلماء^(٣)، وفي ذلك يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: (وقد فُتِن كثير من

(١) هذا اللفظ شباب الصحوة لا ينطبق على أمثال الزاعمين هذا القول، لأنّ الصحوة وعيٌّ وفهْمٌ وتعقُّلٌ، وأما هؤلاء فقد بلغوا الغاية في التهور وعدم التعقل.

(٢) شرح مختصر الروضة لسليمان بن عبد القوي الطوفي (٣/ ٦٥٧).

(٣) انظر مبحث: التفريق بين العلماء وبين من قد يشبه بهم، من كتاب: قواعد في التعامل مع العلماء، د. عبد الرحمن اللويحق.

المتأخرين بهذا، وظنّوا أنّ من كثّر كلامه وجدأله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم ممّن ليس كذلك، وهذا جهل محض^(١).



(١) بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب الحنبلي (٥٧).

المبحث الثاني العالم عند جماعات التكفير

الضابط في معرفة العالم عند جماعات التكفير:

إنّ الضابط في معرفة العالم عند جماعات التكفير، ليس من رسخ في العلم حتى صارت فتاواه تتفق مع القواعد الشرعية طرداً وعكساً، وإنما الضابط عندهم في معرفة العالم، من كان أكثر قدرةً على تهيج الناس وحثّهم على الفوضى المسلّحة التي يسمونها جهاداً زوراً وبهتاناً. ولذلك فإنّ جماعات التكفير، لا يُسمّون سماحة العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عالماً، ولا يعتبرون محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ عالماً، ولا يرفعون رأساً لفضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، وإنما يقولون عن هؤلاء العلماء: جهال بالواقع، وعلماء حيضٍ ونفاسٍ.

وفي المقابل، يطلقون لفظ العالم على أمثال الذين يهيجون الشباب للخروج على الحاكم، أو على بعض من ينشر بين الشباب أشرطة يدعو فيها إلى الجهاد بلا شروط ولا

مقدمات، وسأذكر بعضاً من كلامه لننظر هل ينطبق عليه لقب العالم؟!

أولاً: ينشر أحد مفتي التكفيريين بين الشباب في أشرطته المسماة: الأجوبة النافعة^(١) حيث يقول: (إذا غلب الحاكم بغير رضا، يجوز للأمة أن تخرج عليه، قال: وهذا معلق بالمصلحة ولا شك، هذا كلام السلف، ولكن: هل يجوز لها أم تكون آثمة إذا خرجت، قال: لا تكون آثمة، بل يجب على الأمة أن تخرج عليه سواء كفر بذاته أم لا) اهـ.

وقبل أن أذكر كلام أهل العلم في المسألة، أوضح النقاط التالية:

(١) يقرر هذا المفتي بأن الخروج على الحاكم معلق بالمصلحة، قال: ولا شك هذا كلام السلف.

(٢) تناقض هذا المفتي بعد ذلك فقال: ولكن، هل يجوز لها أم تكون آثمة إذا خرجت، قال: لا تكون آثمة.

(٣) ثم ينسف المفتي كلامه الأول الذي اعترف فيه بأن مذهب السلف تعليق الخروج بالمصلحة، فقال: بل يجب على الأمة أن تخرج عليه، سواء كفر بذاته أم لا.

(١) الشريط الأول، الوجه الأول.

كلام أهل العلم في المسألة :

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إن الأمر والنهي وإن كان متضمناً تحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفساد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته)^(١).

وقال أيضاً: (فليس كل ما جاز فيه القتل، جاز أن يقاتل الأئمة لفعلهم إياه، إذ فساد القتال أعظم من فساد كبيرة يرتكبها ولي الأمر)^(٢).

(٢) وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (النبى ﷺ شرع لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شرٍ وفتنةٍ إلى آخر الدهر)^(٣).

(٣) ذكر الإمام الجويني في مسألة عزل الإمام، (أنه

(١) الفتاوى العراقية (٢٥٩ - ٢٦١) وانظر الفتاوى (١٢٩ / ٢٨).

(٢) الفتاوى (٦١ / ٢٢).

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم (٤ / ٣).

لا يثورنَّ على الأمراء من غير بصيرة ديّن). وقال: (إن تيسر نصب إمام مستجمع للخصال المرضيَّة، والخلال المعتبرة في رعاية الرعية، تعيّن البدار إلى اختياره، فإذا انعقدت له الإمامة، واتسقت له الطاعة على الاستقامة، فهو إذ ذاك يدرأ من كان).

ثم قال في الموازنة بين المصالح والمفاسد:

(إن علمنا أنه لا يتأتى نصبُ إمام دون اقتحام داهية،

وإراقة دماء، ومصادمة أحوال جمَّة الأهوال، وإهلاك أنفس ونزف أموال، فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون إليه، مبتلون به بما يفرض وقوعه في محاولة دفعه، فإن كان الواقع الناجز أكثر ممَّا يقدر وقوعه في روم الدفع، فيجب احتمال المتوقع لدفع البلاء الناجز.

وإن كان المرتقب يزيد في ظاهر الظنون على ما الخلق مدفوعون إليه، فلا يسوغ التشاغل بالدفع، بل يتعين الاستمرار على الأمر الواقع^(١).

ثانياً: وممَّا ينشره هذا المفتي بين الشباب قوله^(٢): الحاكم إذا وقع في مفسدة يجب على العالم أن يتصدَّى لها. اهـ

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، لأبي المعالي الجويني (٥٥).

(٢) الشريط الثاني من أسرطة الأجوبة النافعة، الوجه الأول.

وهذه المسألة عند أهل السنة والجماعة، فرع عن مسألة إنكار المنكر والخروج على الحاكم، فإن الشرع إذا حرّم شيئاً، فإنه يحرم الطرق والوسائل المفضية والموصلة إليه، فإذا حرّم الشرع الخروج الذي يؤدي إلى فسادٍ أعظم من فساد الحاكم، وجب أن يكون التهييج على هذا الخروج محرماً، لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

إن جماعة التكفير يريدون بهذه الفتاوى أن يُنفروا الناس عن العلماء، فإذا أفتى مفتيهم الشباب بأنه يجب على العالم أن يتصدّى للحاكم، ثم لا يرون العالم يتصدّى للحاكم ولا يهيج عليه في خطبه ومحاضراته، نفروا عنه، ووصفوه بأوصافٍ لا تليق أن نصف بها المسلم العامي فضلاً عن العلماء.

إن جماعات التكفير يضعون هذه الفتاوى بين الشباب الذين لا يعرفون الضوابط، ولا يفهمون تفصيلات ما يجملونه لهم، الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الشباب في كره العلماء، والتشكيك بإخلاص جميع الدعاة الذين لا يوافقونهم على آرائهم وأفكارهم التي تسببت وتسبب بضعف المسلمين، وتسلب الأعداء عليهم، وتوريط الساحة الإسلامية، وإنهاء مرحلة الدعوة والتعليم والتربية الإسلامية في بلاد المسلمين، والهروب من بلاد الواقع إلى أوروبا، كما فعل مفتيهم وقادة هذا الفكر.

مراعاة أفهام الشباب عند طرح المسائل:

إن المفتي هو الذي يراعي أفهام الشباب في طرح المسائل، ولذلك فإن رسول الله ﷺ لما سأله شاب عن حكم التقبيل للصائم في رمضان لم يرخص له، ولما سأله شيخ رخص له^(١).

ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)^(٢).

وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)^(٣). ومن فقه الإمام البخاري رحمته الله، أنه أفرد باباً في كتاب العلم من الصحيح بعنوان: (باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: (وممن كره التحديث ببعض دون بعض، أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، قال: والحسن أنكر على أنس رضي الله عنه تحديثه للحجاج بقصة العرنيين، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمد منه من

(١) انظر سنن أبي داود (٢٣٨٧) وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع). وانظر الفتح (١/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧) في كتاب العلم، (باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم، كراهية أن لا يفهموا).

المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي) ثم قال: (وضابط ذلك أي التحديث ببعض دون بعض -: أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب. والله أعلم)^(١).

وأفرد البخاري أيضاً باباً بعنوان (باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصُر فهمُ بعضِ الناسِ عنه فيقعوا في أشدَّ منه). وأخرج فيه حديث عائشة رضي الله عنها في

تركه ﷺ هدمَ الكعبة وإعادة بنائها، ويجعل لها بابين، باب يدخل الناس، وباب يخرجون.

قال ابن حجر معلقاً على الحديث: (يستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه: ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم، ولو كان مفضولاً، ما لم يكن محرماً)^(٢).

استغراب سائح:

إنني لأستغرب وأعجب من الشباب الذين يتركون العلماء إلى أمثال هذه التناقضات التي تصدر عن أناسٍ لم يشهد لهم أهل

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١ / ٢٧٢).

(٢) المصدر السابق (١ / ٢٧١).

العلم، فضلاً عن شهادة آثارهم العلمية بالتناقض والانحراف.
وقد تقرر أنه لا يجوز للمسلم أن يُدخل على بدنه من
الطعام ما يضرّ، كذلك لا يجوز للمسلم أن يُدخل في دينه ما
يضرّ، ويأخذ دينه عن النكرات المجهولين.



المبحث الثالث الخطأ في الحكم الشرعي بين أهل السنة وجماعات التكفير

العلماء بشريخطئون ويصيبون :

إننا ندين الله ﷻ بأن العلماء بشر، يخطئون ويصيبون، إلا أن خطأهم نادر قليل، ثم إن حصل فبسبب من الأسباب المبيحة للخلاف، المبررة للخطأ، لأن خطأهم لا يحصل بسبب الغلط في الجري على ترتيب الأدلة ومنهج الاستدلال، وإنما يحصل الخطأ من العالم لأجل مراعاته لترتيب الأدلة ومنهج الاستدلال فيكون في صوابه وخطئه جارياً على القواعد الحديثية والأصولية لا يخرج عنها.

أمثلة على ذلك :

(١) قد يحكم العالم في مسألة من المسائل بمقتضى عموم آية، ويكون قد ورد في المسألة حديث يخصص عموم هذه الآية، إلا أن العالم لم يعمل بالحديث لوقوفه عليه من طريق ضعيف، ثم بعد ذلك يتبين أن للحديث شاهداً يرتقي به الحديث الضعيف

إلى درجة القبول، فيلزم من ذلك وقوع العالم في الخطأ، ولكن خطأ إصابة الحق، لا الخطأ في الاستدلال وطريقة الاستنباط.

(٢) ومنها: أن العالم قد يعمل بعموم النصوص، أو جرياً منه على القاعدة العامة، كقياس الشمول، وهو اندراج الجزئي تحت الكلي، ثم يتبين بعد ذلك أن في المسألة بخصوصها حديثاً يُخرج المسألة عن اندراجها تحت الكلي العام، لم يكن اطلع عليه العالم، أو علمه ونسيه كما حصل مع عمر رضي الله عنه^(١)، فيفتي بمقتضى القاعدة العامة، ويكون حق المسألة التي أفتى فيها العالم، أن تدرج تحت القاعدة العامة لولا وجود الحديث الصحيح الذي يُخرجها عن اندراجها تحت القاعدة الكلية، فيكون العالم أخطأ في إصابة الحق، ولم يُخطئ في جريه على القواعد وطرق الاستدلال والاستنباط، لذلك يكون له أجر واحد لبذل جهده واستفراغ وسعه في الجري على القواعد وطرق الاستدلال للتوصل إلى الحكم الشرعي.

مثال ذلك: ما أفتى به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، بأن التسوك يكون باليد اليسرى، بناءً منه على أنه تنظف كالأستنثار، ولعله نسي الحديث الذي في سنن أبي داود، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في

(١) انظر صحيح البخاري (٢٠٦٢ و ٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣).

شأنه كله، في طهوره وترجله ونعله» قال أبو داود: قال مسلم: «وسواكه»^(١).

العلماء ينزلون النصوص على الواقع مع مراعاتهم للقواعد والمقاصد:

إن العلماء عندما يحكمون في المسألة النازلة، يفهمون النصوص الشرعية بناءً على الواقع الموجود، وليست هي مجرد نصوص يحفظونها ويطلقون ما تتضمنه من أحكام بغض النظر عن الواقع، ودون فهمها على أساس النصوص الأخرى.

(١) ف قوله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(٢) يفهمها العلماء في مرحلة الضعف والتربص بالمسلمين، مع العجز وعدم القدرة، فإنهم يجمعون بين هذا النص وقوله ﷺ: «لا لآل ياسر رضي الله عنهم عندما كانوا يعذبون في مكة على الإيمان بالله واليوم الآخر: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»^(٣) ولم يتمكن من نصرهم بالسيف والسنان لضعفه وضعف المسلمين

(١) أخرجه أبو داود (٤١٤٠) في كتاب اللباس، (باب في الانتعال).

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٤٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٣) في كتاب المظالم (باب عن أخاك ظالماً أو مظلوماً).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٩) وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢) بلفظ: (أبشروا آل عمار أو آل ياسر...).

وقلة عددهم، وعدم إمكان قتال المشركين، لا سيّما وأن المرحلة مرحلة دعوة إلى التوحيد فلو أمر أصحابه بالقتال والثأر لآل ياسر مع جهل المجتمع بحقيقة الدعوة الإسلامية وعدم استعدادهم لقبولها لتحوّل مسار الدعوة من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى الإسلام بجهد الحجة والبيان إلى المعركة الانتقامية يقتل منّا ونقتل منه، وتنتهي قضية الدعوة إلى التوحيد وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام وذلك لسببين:

أ) لعدم قدرة المسلمين على استثمار النكاية بالعدو وقتاله لإقامة مجتمع التوحيد والإسلام، وذلك لعدم وجود شريحة كافية يمكن أن تشكل طليعة مقومات المجتمع المسلم.

ب) عدم فهم المجتمع للهدف من قتال المشركين، وأبعاد الصراع، وقبل وجود هذا الفهم فلن تصبر معك الطليعة المؤمنة فضلاً عن عدم صبر باقي شرائح المجتمع وتحملها تبعات هذا الصراع.

٢) ومن الأمثلة على ذلك، أن العلماء عندما يمنعون من إنكار المنكرات باليد، فبسبب فهمهم لضوابط إنكار المنكر، وأنه متى ترتب على إنكار المنكر ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله ﷺ منه، لم يجز إنكاره.

٣) وعندما يفتي العلماء بعدم الجهاد في مرحلة من المراحل فلعلمهم أن مقصود الشارع من تشريع الجهاد إعزاز المسلمين وتقوية شوكتهم، فإذا كان يترتب على ممارسة العمل الجهادي ضعف المسلمين وذهاب بيضتهم، فإن العلماء يفتون بتحريم ذلك العمل لأنه يتنافى مع مقصود الشارع من تشريع الجهاد.

جماعات التكفير يحفظون نصوصاً مجردة:

وأما جماعات التكفير، فيحفظون نصوصاً مجردة عن إمكان تطبيقها على الواقع، ودون دراستها وفهمها على أساس النصوص الأخرى، فلا يعرفون قاعدة: (الواجب يتعلق بالاستطاعة فلا واجب مع العجز ولا محرّم مع الضرورة) وقد يكونون يعرفونها ولكن لغلبة الهوى وشدة إفراطهم في حب ممارسة العمل العسكري، يتجاهلون أو يتصورون ويصوّرون للشباب أن القدرة قدرة ذاتية وهي موجودة في الشباب ولا ينظرون إلى قدرة الأمة ومجموع المجتمع.



الفصل الثالث منهج أهل السنة في النوازل

المبحث الأول:

منهج الصحابة رضي الله عنهم في النوازل

المبحث الثاني:

الواجب على أهل السنة لمعرفة الحكم الشرعي في
النوازل

المبحث الثالث:

الواجب على من يسمع الطعن بالعلماء

المبحث الأول

منهج الصحابة رضي الله عنهم في النوازل

لقد كان أصحاب النبي ﷺ يفتزعون في النوازل إلى أهل العلم، وينادون بالتمسك بالقيادة العلمية، والتشبث بما يصدر عنهم، لأنهم أعلم بتحقيق مصالح المسلمين، ودرء المفاسد عنهم بما لهم من اطلاع على قواعد الشريعة، وفهم لمقاصدها. وأضرب لذلك أمثلة:

(١) لما وقع النبي ﷺ اتفاق الصلح مع قريش زمن الحديبية، قال النبي ﷺ: «لا يسألونني خُطَّةً يعظّمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها» وقال لهم: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنّا أخذنا ضُغطةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنّه لا يأتيك رجل منّا وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسفُ في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى

بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أفاضيك عليه أن تردّه إليّ. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فافعل» قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردتُ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُدب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت فلم نعط الدنيا في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري». قلت: أو ليس كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أننا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوف به» قال: فأتيت أبا بكرٍ فقلت: يا أبا بكر: أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت فلم نعط الدنيا في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله ﷺ وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بقرنه فوالله إنه على الحق. الحديث (١).

(١) رواه البخاري في قصة طويلة (٢٧٣١ - ٢٧٣٢) في كتاب الشروط (باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط).

والشاهد من الحديث: قول أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه:
استمسك بغرزه. فأمر بالتمسك بالقيادة العلمية في هذه النازلة
والتي كانت قضية خطيرة ظاهرها الضيم للمسلمين، إلا أنها
في الصورة الباطنة عزٌّ لهم وفتحٌ عزيز، حيث دخل في دين الله
في فترة الصلح أكثر ممَّا دخل فيه في المرحلة التي قبلها. قال
الزهري رحمته الله: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم من فتح
الحديبية)^(١).

(٢) روى الدارمي من طريق عمر بن يحيى قال: سمعت أبي
يحدث عن أبيه قال: كنَّا نجلس على باب عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه
قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو
موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد، قلنا:
لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال
له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إنني رأيت في المسجد أنفاً
أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال:
إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلَّقاً جلوساً
ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا، فيقول
كَبِّروا مائة فيكَبِّرون مائة، فيقول: هلَّلوا مائة فيهللون مائة،
ويقول سَبِّحوا مائة فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال:
ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٥/٤١٠).

أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلقة، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟! قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعدّ به التكبير والتهليل والتسييح، قال: فعدّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أنّ قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعلّ أكثرهم منكم. ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلقة يطاعوننا يوم النهروان مع الخوارج^(١).

والشاهد من الأثر: أن أبا موسى رضي الله عنه مع كونه من علماء الصحابة، وقد ذكره ابن القيم رحمته الله في المتوسطين في الفتيا^(٢)، لم يحكم عليهم استقلالاً، مع أن النازلة حدث واضح، وبدعة صريحة، ومع ذلك توقف حتى يراجع الأعلام منه والأكثر منه فتياً، ابن مسعود رضي الله عنه.

(١) سنن الدارمي (١/ ٦٨ - ٦٩).

(٢) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (١/ ١٢).

فلما قال له ابن مسعود رضي الله عنه: فماذا قلت لهم؟ قال أبو موسى رضي الله عنه: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك.
أدبٌ، والتزامٌ بالحد، وتوقيرٌ للعلماء، وإنزالهم منازلهم،
وردد الأمر إلى أهله.

أما جماعات التكفير، فلا تجد فيهم إلا التصدر للفتوى
وتقرير المصير في أخطر قضايا الأمة، ويتجرؤون على ما لا
يتجرأ عليه العلماء مجتمعون، مع كونهم حدثاء الألسن لم
يحصلوا من العلم ما يستقيم به الفهم، ولا بلغوا السنن الذي
تصقلهم فيه التجربة. فكانت النتيجة، أن ضاعوا في مضلات
الهوى، وضيّعوا كثيراً من مقدّرات الأمة، ودائماً بسبب تنكبهم
طريق أهل العلم يتسببون بانتكاسة الدعوة ورددّها إلى الوراء.



المبحث الثاني الواجب على أهل السنة لمعرفة الحكم الشرعي في النوازل

الواجب على الشباب المسلم لمعرفة الحكم الشرعي في كل القضايا النازلة والتي يتعلق بها مصير الأمة، أن يسألوا أهل العلم الكبار، الذين علموا الشريعة وفهموا مقاصدها، وخبروا الواقع وجربوا الأمور. ولا يجوز لهم أن ينفردوا بإطلاق الأحكام وتقرير المراحل من عند أنفسهم، لأنهم ليسوا أهلاً لذلك، ولأن الحكم الشرعي يتوصل إليه الإنسان من ثلاثة طرق:

- ١) أن يتوصل إليه الإنسان بنفسه، وهذا مسلك المجتهدين.
- ٢) أن لا يتمكن من التوصل إلى الحكم الشرعي بنفسه، ولكنه طالب علم يميّز بين الأقوال، ويتتبع الأدلة، فيعمل بما ترجح له من أقوال أهل العلم بالدليل.
- ٣) من ليس كذلك، فهو عامي، يجب عليه أن يسأل عالماً بالكتاب والسنة يثق بدينه، وهذا يحتاج أن يكون العالم ظاهراً، معروفاً بالعلم والاستقامة على

هدي النبوة ومنهج السلف.

وكما أنه يجب على العالم أن يتحرى الحديث والدليل قبل أن يعمل به، يجب على العامي أن يتحرى عمّن يأخذ الفتوى والدين، وقد قال ابن سيرين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم)^(١).

وقد يكون المسلم طالب علم، إلا أنه لا يتمكن من الترجيح في كل أبواب العلم والدين، بل يتمكن من بعض أبواب العلم دون بعض لاقتصاره في دراسته على ذلك، فهو عامي في القسم الثاني، يجب عليه أن يسأل عالماً ثقةً مأموناً.

ويجب أن نعلم أن أكثرنا عوامٌّ في أحكام النوازل، وإن كان الواحد منّا طالب علم، وهذه حقيقة، والحقائق قاسية في بعض الأحيان وينزعج منها البعض ولذلك يجب على الجميع أن يعود إلى أهل العلم الكبار، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وقد صرح اللاكائي وغيره، بأن السُّنة قد تنحصر في بعض العلماء دون آخرين، أي: العلم بالسنة ودقائق الأمور، فعن عبد الرحمن بن مهدي قال: (أئمة السنة في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام،

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه، (باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب).

وحمداد بن زيد بالبصرة^(١).

وكتب عبد الرحمن بن مهدي في وصيته التي أوصى بها أهله وولده: (انظروا ما كان عليه أيوب ويونس وابن عون، وأسألوا عن هدي ابن عون فإنكم ستجدون من يحدثكم عنه)^(٢).

ولذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (هذا تأديب من الله لعباده، عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة، ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر. بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي، والعلم، والنصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتحرزاً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما فيه مصلحة، أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي (١ / ٧٠).

(٢) المصدر السابق (١ / ٦٨).

ولهذا قال: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي: أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ^(١).



(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢/ ١١٣ و ١١٤).

المبحث الثالث الواجب على من يسمع الطعن بالعلماء

إن الواجب على من يسمع الطعن بالعلماء أن ينصح الطاعنين، ويأمرهم بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، ويذكرهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] وأن الطعن بأهل العلم والتنقص من قدرهم إسقاط لهيبتهم، وإذا أسقطت هيبة العالم تجرأ عليه أهل البدع، وتزعزعت الثقة به عند عامة الناس فيختل ميزان المجتمع، وتطل الفتنة برأسها، ويتصدر العامة من ليس أهلاً، ويحصل من ذلك شر عظيم.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: (لو أننا كلّمنا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له، قمنا عليه وبدّعناه وهجرناه، لما سلّم معنا لا ابن نصرٍ ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما)^(١).

وقال فيمن يزدرى أهل العلم ولا يعرف قدرهم: (فإني

(١) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٩).

أحسبك لفرط هواك تقول بلسان الحال، إن أعوزَكَ لسان المقال: من أحمد؟ وما ابنُ المدني؟ وأي شيء أبو زرعة وأبو داود؟ هؤلاء محدثون ولا يدرون ما الفقه؟ وما أصوله؟ ولا يفقهون الرأى، ولا علم لهم بالبيان والمعاني والدقائق، ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق، ولا يعرفون الله تعالى بالدليل، ولا هم من فقهاء الملة، فاسكت بحلم، أو انطق بعلم، فالعلم النافع ما جاء عن أمثال هؤلاء ولكن نسبتك إلى أئمة الفقه كنسبة محدثي عصرنا إلى أئمة الحديث، فلا نحن ولا أنت، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل، فمن اتقى الله راقب الله، واعترف بنقصه، ومن تكلم بالجاه وبالجهل، أو بالشر والبأو فأعرض عنه، وذره في غيّه، فعقباه إلى وبال، ونسأل الله العفو والسّلامة^(١).

وقال أيضاً: (إذا كان مثل كبراء السابقين الأولين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يتكلم فيه، فمن ذا الذي يسلم من ألسنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضرّه ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزنٍ بالعدل والورع)^(٢).

(١) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي (٢ / ٥٢٩ - ٥٣٠) نقلاً عن كتاب

كلمات في العلم وأدب الطلب للأخ د. جمال عزّون ص (١٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٤٨).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية.....	٣
مدخل إلى البحث.....	٩
مقدمة.....	١١
عتاب مردود.....	١٥
التعريف بجماعات التكفير.....	١٨
علماء الإسلام بين أهل السنة وجماعات التكفير.....	٢٣
تمهيد.....	٢٥
الفصل الأول: الموقف من العلماء بين أهل السنة وجماعات	
التكفير.....	٢٧
المبحث الأول: الطعن بالعلماء من علامات أهل البدع.....	٢٩
المبحث الثاني: عدم التماس العذر لأهل العلم منهج خارجي	٣١

المبحث الثالث: حب أهل العلم والدفاع عنهم من منهج أهل السنة..... ٣٣

الفصل الثاني: كيف يعرف العالم بين أهل السنة وجماعات التكفير..... ٣٥

المبحث الأول: من هم العلماء عند أهل السنة..... ٣٧

المبحث الثاني: العالم عند جماعات التكفير..... ٤٣

المبحث الثالث: الخطأ في الحكم الشرعي بين أهل السنة وجماعات التكفير..... ٥١

الفصل الثالث: منهج أهل السنة في النوازل..... ٥٧

المبحث الأول: منهج الصحابة في النوازل..... ٥٩

المبحث الثاني: الواجب على أهل السنة لمعرفة الحكم الشرعي في النوازل..... ٦٤

المبحث الثالث: الواجب على من يسمع الطعن بالعلماء..... ٦٨

